مظاهر التَّجديد في تحليل الخطاب اللغوي
كتاب الْحِجَاج في القرآن للدكتور عبد الله صولة أنموذجاً

أ.م.د. عائشة خضر أحمد هزاع

جامعة الموصل / كلية التربية للبنات/ قسم اللغة العربية

(قدم للنشر في ٢٠١٩/٦/١١ ، قبل للنشر في ٢٠١٩/١٢/٤)

ملخص البحث:

إنَّ الهدف من اختيارنا لنظرية الحجاج بوصفها مظهراً من مظاهر التجديد في تحليل الخطاب اللغوي العربي هو أنَّ منطلقاتها تتمحور حول المقولة الشائعة التي مؤداها (أَنَّنا نتكلم عامة بقصد التأثير) والحجاج نظرية دلالية تحاول أنْ تبينَ أنَّ اللغة تحمل بصفة ذاتية وظيفةً حجاجيةً، وتتمثل هذه الوظيفة في بنية الخطاب بكل مظاهره الصوتية والصرفية والمعجمية والتركيبية والدلالية، وهذا المفهوم يأخذ حظاً وافراً من الأسس التي يستند إليها تحليل الخطاب اللغوي في التراث العربي، والدكتور عبد الله صولة من أبرز الباحثين الذين تبنوا هذه النظرية، وطبّقوها في نصوص قرآنية عبر استشراف مقولاتٍ تراثيةٍ تعد إضاءاتٍ في تحليل الخطاب اللغوي العربي في هذا المضمار في كتابه (الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية)، وهنا تبرز تساؤلات تفرض نفسها، ومن أهمها: كيف تعامل المؤلف مع هذه النظرية؟ وما مظاهر التجديد فيها؟ وكيف أفاد المؤلف من أسس هذه النظرية في تحليل الخطاب القرآني؟

Aspects of Renewal in Analyzing the Linguistic Discourse- The Book of Al Hijaj fil Qur'an by Dr. Abdullah Sawlah as an Example

Abstract:

The aim of our choosing the theory of Al Hijaj (argumentation) as an aspect of renewal in the analysis of Arabic linguistic discourse is that its premises revolve around the common saying "we generally speak to make an influence". Al Hijaj (argumentation) is a semantic theory which attempts to show that language itself carries an argumentative function, and this function is embodied in the structure of discourse with all its vocal, morphological, lexical, structural and semantic aspects. This concept heavily relies on the bases that linguistic discourse analysis rests upon in the Arabic tradition. Dr. Abdulla Sawlah is one of the main scholars who adopted and implemented this theory on Qur'anic texts through observing traditional sayings that are considered highlights in Arabic discourse analysis in this field, in his book (Al Hijaj fi Al Qur'an al kareem min khilal aham khasa'isihi al islobiyya). Here some questions rise, among which the most important are: How did the author dealt with this theory? What are the renewal aspects in it? How did the author benefit from the bases of this theory in analyzing the Qur'anic discourse?

المقدمة

إن الهدف من اختيارنا لنظرية الحجاج بوصفها مظهراً من مظاهر التجديد في تحليل الخطاب اللغوي العربي هو أن منطلقات هذه النظرية تتمحور حول المقولة الشائعة التي مؤداها (أَنَّنا نتكلم عامة بقصد التأثير) والحجاج نظرية دلالية تحاول أن تبين أن اللغة تحمل بصفة ذاتية وظيفة حجاجية، وتتمثل هذه الوظيفة في بنية الأقوال والمعنى بكل مظاهرها الصوتية والصرفية والمعجمية والتركيبية والدلالية، وهذا المفهوم يأخذ حظاً وافراً من الأسس التي يستند إليها تحليل الخطاب اللغوي في التراث العربي من ناحية، فضلاً عن كون هذه النظرية من النظريات الحديثة التي تستند إلى مرجعيات فلسفية ولغوية، ولها بُعد تداولي من ناحية أخرى، والذي يهمنا من هذه النظرية الجانب اللغوي في هذه الدراسة، من هنا تمثلت مشكلة البحث في تتبع مؤلفات عربية تبنت هذه النظرية، وطبّقتها في نصوص قرآنية عبر استشراف مقولاتٍ تراثيةٍ تعد إضاءات في تحليل الخطاب اللغوي العربي، ومن أبرز الباحثين في هذا المضمار الدكتور عبد الله صولة ولاسيما في كتابه (الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية)، إذ حمل هذا المؤَلف فيما حمل مظاهر التجديد في تحليل الخطاب، وستعتمد هذه الدراسة المنهج الوصفي والمنهج التحليلي، أما الخطة فستتشكل من مهاد نظري سينهض بتعريف موجز بنظرية الحجاج وأهم أبعادها ومتضمناتها، ومبحثين، خُصص المبحث الأول لمستوى الكلمة خصائصها الحجاجية وحركتها في القرآن، أما المبحث الثاني فنهض بمستوى التركيب من حيث خصائصه ووجوه الحجاج فيه. وخَلُص البحث بخاتمة أهم النتائج.

ولابد من التنويه في هذا السياق إلى أن ما عرضناه من مسائل لغوية تضمنها كتاب الحجاج في القرآن لا تمثل كل ما جاء في هذا الكتاب، إذ اقتصرنا في دراستنا على الباب الأول والباب الثاني، وذلك لضيق المقام.

التمهيد

تعريف بنظرية الحجاج وأهم أبعادها ومتضماتها

الحجاج مصطلح بمفهوم عام على علاقة بأكثر من مجال معرفي، والذي يعنينا الحجاج اللغوي ولاسيما أنه غدا نظرية لغوية متكاملة وهي "نظرية دلالية حديثة تقدم تصوراً جديداً للمعنى من حيث طبيعته ومجاله، وتقدم أيضاً أفكاراً ومقترحات هامة بخصوص عدد كبير من الظواهر اللغوية"[1] . ولعل هذه الخصائص هي التي رشحتها لتضطلع بحيز كبير من البحث فيها تنظيراً وتطبيقاً، فضلاً عن أنها "تتعارض مع كثير من النظريات والتصورات الحجاجية الكلاسيكية

(١) اللغة والحجاج، أبو بكر العزاوي :٨

التي تَعُدُ الحجاج منتمياً إلى البلاغة الكلاسيكية (أرسطو) أو البلاغة الحديثة (برلمان، أولبريخت تيتكا، ميشال مبير...) أو منتمياً إلى المنطق الطبيعي (جان بليز غريز...)، إن هذهِ النظرية التي وضع أساسها اللغوي الفرنسي أزفالد ديكرو منذ سنة ١٩٧٣ نظرية لسانية، تهتم بالوسائل اللغوية وبإمكانات اللغات الطبيعية التي يتوفر عليها المتكلم، وذلك بقصد توجيه الخطاب وجهة ما، تمكنه من تحقيق بعض الأهداف الحجاجية، ثم إنها تنطلق من الفكرة الشائعة التي مؤادها: أننا نتكلم عامة بقصد التأثير "[٢].

لقد انبثقت نظرية الحجاج في اللغة من داخل نظرية الأفعال اللغوية التي وضع أساسها أوستين وسورل، وقد قام ديكرو بتطوير أفكار وآراء أوستين بالخصوص، واقترح إضافة فعلين لغويين هما: فعل الاقتضاء، وفعل الحجاج. والحجاج بعدُ هو تقديم الحجج والأدلة المؤدية إلى نتيجة معينة، وهو يتمثل في إنجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب، وبعبارة أخرى، يتمثل الحجاج في انجاز متواليات من الأقوال، بعضها بمثابة الحجج اللغوية، وبعضها الآخر هو بمثابة النتائج التي تُستنتج منها [٣]. ويعد ديكرو من أبرز اللسانيين الذين جعلوا للحجاج بعداً لسانياً، حيث ينطلق أولاً من تأكيد الأبعاد التداولية والدلالية الكامنة في اللغة التواصلية اليومية واللغة الإبداعية. لأن اللغة في معناها العام "قيد" يضبط نسق ترتيب الأقوال وترابطها[٤] "الذي لا يستند على قواعد الاستدلال المنطقي، وإنما هو ترابط حجاجي، لأنه مُسجَل في أبنية اللغة بصفة علاقات توجه القول وجهة دون أخرى وتفرض ربطه بقول دون آخر، فموضوع الحجاج في اللغة هو بيان ما يتضمنه القول من قوة حجاجية تمثل مكوناً أساسياً لا ينفصل عن معناه، يجعل المتكلم في اللحظة التي يتكلم يوجه قوله وجهةً حجاجيةً ما"[٥].

ولابد من الإشارة في هذا المقام إلى أن البحث في الحجاج في التراث اللغوي العربي بحث أصيل، إذا إن " كل الجهود العربية القديمة في حقل الدراسات البلاغية التي تدور حول قطب واحد هو القول أو الكلام بتنوع أحواله ومقاماته وأداءاته، كلها اجتمعت على أن

(٢) المصدر نفسه :١٤

(٣) ينظر: المصدر نفسه :١٥-١٦.

(٤) ينظر: الحجاج في البلاغة المعاصرة، محمد سالم محمد أمين الطلبة: ١٩٢.

(٥) نظرية الحجاج في اللغة، شكري المبخوت، بحث ضمن كتاب الحجاج في التقاليد الغربية : ٣٥٢. وينظر: الحجاج في البلاغة المعاصرة:١٩٢.

الحجاج كمصطلح قديم حديث، هو الجدل وهو البرهان والامتناع والتصديق وما إلى ذلك من مصطلحات متعددة"[٦].

والحجاج والجدل يكثر ورودهما مترادفين في اصطلاح القدماء، من ذلك أن أبا الوليد الباجي (ت ٤٧٤ه) أسمى كتابه، وهو من علم أصول الفقه، (المنهاج في ترتيب الحجاج) مستخدماً في العنوان لفظة " الحجاج "، لكنه في المقدمة ينعته بكونه " كتاباً في الجدل " وهذا يعني أن الحجاج عنده مرادف للجدل، وفي كتب علوم القرآن ما يدعم ذلك ولاسيما "البرهان في علوم القرآن" لبدر الدين الزركشي (ت ٧٩٤هـ) و " الإتقان في علوم القرآن " لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، فهذه الكتب تَعْرِض لـ " جدل القرآن " باعتباره عِلماً من علومه [٧].

منهج الكتاب

تتوزع منهجية الكتاب على ثلاثة مستويات: مستوى المعجم، حيث يمثل التعويل على وحدات معجمية بعينها تعود وتُكرر في النص خصيصة أسلوبية. ومستوى التركيب، حيث يمثل اعتماد ضرب من النظم والتأليف معيّن يطّرد في النص خصيصة أسلوبية فيه. ومستوى الصورة حيث تمثل المجازات وحتى التشبيهات إذا تواترت في النص واطّرد استعمالها خصيصة أسلوبية كذلك[٨]. من هنا وُسِم الباب الأول بـ(المعجم القرآني: خصائص كلماته وحركتها الحجاجية). أما الباب الثاني فكان عن(التركيب في القرآن: خصائصه ووجوه الحجاج فيه). وجاء الباب الثالث بعنوان: (الصورة في القرآن خصائصها ووجوه الحجاج فيها). وهذه المستويات أسلوبية، يتمثل فيها تحقيق للمنهج الذي عزم المؤلف أن يتبناه في الربط بين الحجاج والأسلوب.

ينطلق الدكتور عبد الله صولة من نظريات الحجاج الحديثة ليتخذها خلفية نظرية يلج من خلالها إلى مباحث الحجاج في القرآن الكريم ، ويقدم المؤلف أربعة مفاهيم للحجاج عند طوائف أربع من الباحثين الغربيين (١- تولن، ٢- برلمان وتيتيكاه، ٣- أنسكمبر وديكرو، ٤- ماير) ثم يعلق عليها قائلاً: مفاهيم الحجاج الأربعة هذهِ، على أهميتها بالنسبة إلى بحثنا، فيها ما من شأنه أن يثير مشاكل منهجية

(٦) الخطاب الحجاجي أنواعه وخصائصه، دراسة تطبيقية في (كتاب المساكين) لـ: " الرافعي "، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة تعلة- الجزائر، ٢٠٠٣م، هاجر مدقن: ٢٥.

(٧) ينظر: الحجاج ١٢-١٣.

(٨) ينظر: الحجاج في القرآن ٤٩.

في مجال الدراسات الحجاجية عامة، وفي دراسة القرآن الكريم دراسة حجاجية خاصة [٩] .

أولاً : مستوى الكلمة

لعل إفراد المؤلف للكلمة في باب يعد بحد ذاته مظهراً فيه من التجديد، ما يجعلنا نتتبع الكيفية التي تناول بها دراسة الكلمة، ولاسيما تلك التقسيمات في الفصول والمباحث التي بعثت في الكلمة تمظهراتٍ وأدواراً كانت غائبةً إلى حدٍ كبيرٍ عند التحليل، ففي الباب الذي عُقِد للكلمة بعنوان (المعجم القرآني : خصائص كلماته وحركتها الحجاجية) للكلمة خصائص حجاجية، وخصائص تقويمية وبعداً حجاجياً، وللكلمة خصائص تداولية وبعداً حجاجياً .

إن هذا التقسيم تبناه المؤلف بعد دراسة طويلة ومعمقة لمفهوم الكلمة الذي خرج به بعد استقراء لآراء العلماء العرب والغرب، ليخرج بمفهوم للكلمة يذكر فيه "أنها الوحدة المعجمية الصرفية الإعرابية معاً، القابلة لأن تكتسب بالإضافة إلى معناها المعجمي سماتٍ دلاليةً إضافيةً من خلال علاقتها بالمقال الذي ترد فيه وبالمقام الذي تستعمل فيه، وهي قادرة في الوقت نفسه على التأثير في ذلك المقال والمقام بفضل مالها من قيم دلالية مختلفة بعضها عن بعض مستمدةً من اللغة نفسها، وبعضها متأتٍ من الاستعمال والتداول" [١٠]، إنَّ مسألة التأثير الذي يتغلغل في الكلمة مافتئ المؤلف يؤكد عليها، بل ويلح فهي ليست مجرد كلمة حبيسة ما تكتنزه من دلالة معجمية وتصطبغ بدلالة السياق الذي توظف فيه فحسب، وإنما "تأثير الكلمة في السياق اللغوي الذي ترد فيه يكون، بواسطة ما علق بها في ذاتها من دلالة وفكر تستمدها من انتمائها إلى حضارة مستعمليها وتاريخهم، كما يرى ليوسبتنز، وهذه الدلالة وهذا الفكر اللذان للكلمة في ذاتها لا يجعلانها مجرد عنصر في بنية لغوية يستمد منها وجوده ودلالته، وإنما يجعلانها عنصراً فاعلاً مؤثراً فيها ملوناً إياها بلونه (الدلالي) المخصوص" [١١] .

إنَّ هذه الرؤية وهذا التوجه في دراسة الكلمة ليفتح للدارس آفاقاً واسعةً ويهيئ له سبر أغوارها، ليُخرِج دلالاتها المتراكمة عبر تاريخ استعمالها واستحضاره في عملية التحليل اللغوي، وقد لا تكون هذه المهمة سهلة، وليس بوسع كل باحث لغوي أنْ ينهض بها، لأنَّ الوصول إلى هذه المستويات في التحليل تتطلب ثقافة لغوية وفكرية وعمقاً في الرؤية، فما يشير إليه الدكتور عبد الله صولة في هذا

(٩) ينظر: الحجاج ٢٢-٤٠، وينظر: مقالة لصابر الحباشة يستعرض كتاب " الحجاج في القرآن الكريم" .

(١٠) الحجاج : ٦٨ .

(١١) المصدر نفسه: ٦٩ .

السياق قيمة للكلمة تعلو على الدلالة المعجمية وما تستتبعه في الاستعمال من دلالات مقامية ومقالية .

والدكتور صولة بعد ذلك مدرك لانعكاسات هذه الأطروحات اللغوية من حيث إنَّها تتعارض وفقاً لما صرح به هو نفسه "على سبيل المثال مع نظرة البنيويين كما تتعارض مع نظرية النظم في القديم من حيث إلحاحها على معنى الكلمة الوظيفي أو المعنى النحوي الذي بموجبه يكون الجزء الذي هو الكلمة رهين الكل الذي هو التركيب أو النظم" [١٢] والمؤلف حين يشير إلى نظرية النظم يذكر آراء عبد القاهر الجرجاني(ت٤٧١ه) في أنَّنا نعبر بالكلم عما في نفوسنا بـ" بتوخي معاني النحو منها" [١٣] و"إنَّ الكلم تترتب في النطق بسبب ترتب معانيها في النفس" [١٤] . إنَّ الفكرة التي يتبناها الدكتور صولة تجاه الكلمة ودلالاتها وعملية التعبير من خلالها هي أعقد على حد قوله مما يتصوره الجرجاني، والمؤلف بذلك لا يقف على طرفيّ نقيض من آراء الجرجاني، فعملية تحليل الكلمة لابد لها من أنْ تستوعبَ وتأخذَ بما جاء به الجرجاني، بيد أنَّها لا تقف عنده، وإنَّما تتجاوزه "وذلك أنَّ هذه الكلمات إذ نطق بها مرتبين إياها وفق ترتيبها في نفوسنا، لا تكتسب قيمتها من معنى الألفاظ المعجمي، وقد تُوخي فيها معاني النحو فحسب، كما يرى الجرجاني، ولا من دلالة السياق على اختلاف تصاريفه، كما يرى جماعة النقد الجديد، وإنَّما يرفدها أيضاً من الناحية الدلالية رافدان على الأقل، مختلفة منابعهما اختلافاً تاماً، وهو ما يجعل هذه الكلمات ذات تأثير في دلالة سياقها العامة، وليست متأثرة به فحسب، وهذان الرافدان هما رافد اللغة ورافد الاستعمال" [١٥] .

إنَّ رؤية الكلمة على هذا النحو يفجر طاقاتها الكامنة من خلال النظر إليها برؤية قديمة في ظاهرها جديدة في مضمونها، ولكي تتجلى هذه الرؤية أكثر سنعمد إلى الوقوف على ما يتشكل منه هذان الرافدان طبعاً كما نقله الدكتور عبد الله صولة . أما الرافد الأول، وهو رافد اللغة الذي فينطلق الباحث فيه من فكرة أنَّ الكلمة في اللغة أقساماً مختلفةً، منها ما يفيد التقويم الموضوعي، ومنها ما هو عقلي، ومنها ما هو عاطفي ذاتي، وأنَّ هناك كلمات كثيرة ذات مقتضى معجمي تحمله في ذاتها ولا يزودها بهذا المقتضى السياق الذي تستخدم فيه، بل الأمر على العكس من ذلك، فهي التي من شأنها بفضل ذلك المقتضى الذي تحمله أن تجعل للسياق وقعاً معنوياً خاصاً، حدهُ ديكرو بما أسماه المؤلف (وقع

(١٢) الحجاج : ٧٠ .

(١٣) دلائل الإعجاز ١٠٦.

(١٤) المصدر نفسه : ١٠٦.

(١٥) الحجاج : ٧٠-٧١ .

الكلمة)، أي إنَّ معنى الملفوظ الجملي لا يمكن أنْ يكونَ جماع دلالات الكلمات التي تكونه، حتى وإنْ كانت هذه الدلالات سياقية، وإنَّما هو ذلك التغيير الطارئ على ذلك السياق من جراء إقحامنا تلك الكلمة فيه، أي التغيير الذي تحدثه في معنى الملفوظ الجملي [١٦] .

وتمثل الرافد الثاني بـ(رافد الاستعمال أو الرافد التداولي)، والكلمة وفقاً لذلك إذ تدخل التركيب النحوي تدخله محملةً بَعدُ بتاريخها الدلالي الثري الذي اكتسبته من طويل تجربتها القولية بدخولها سياقات استعمال كثيرة مختلفة، أو خروجها منها، وذلك الدخول والخروج المستمران يكسبانها صفتين اثنتين مختلفتين، تتمثل الأولى في كون الكلمة أقل من الجملة، فهي بحاجة إلى أنْ تعملَ في غيرها، أو يعمل غيرها فيها لتتولد عن ذلك البنية النحوية التي تعطي للكلمة دلالتها فيها . وتتمثل الصفة الثانية في كون الكلمة أكبر من الجملة، من حيث إنَّها تضفي عليها معاني استمدتها من تاريخ استعمالها الطويل في جمل أخرى اضمحلت وتلاشت، وبقيت تلك الكلمة تدور في عالم خطاب مستعمليها محملة بالدلالات التي غنمتها من استعمالها في تلك الجمل[١٧] . فالكلمة في علاقة جدلية مع السياق الذي يحملها، تأخذ منه دلالاتها على صعيد آني، وتضفي دلالتها على صعيد زماني، ولا يكتفي المؤلف بذلك وإنَّما يضيف بُعداً آخر، يتمثل في أنَّ الكلمة تُكسِب الخطاب الذي ترد فيه "وقعاً معنوياً" خاصاً وبُعداً حجاجياً أعمق في علاقته بمتلقيه[١٨] .

وانطلاقاً من هذه المسألة التي تتمثل بالخطاب وعلاقته بمتلقيه يشرع المؤلف في تفكيك هذه العلاقة ودور الكلمة بين هذا وذاك، فالخطاب دائماً يرمي إلى تغيير أوضاع المتلقين، وباستخدامه الكلمة ذات الخصائص الاقتضائية والتقويمية القائمة في اللغة، وذات الدلالات المضافة القادمة من الاستعمال يكون ذا فاعلية أكبر في المتلقين، فضلاً عن اختيار الكلمة في الخطاب دون غيرها يرمي إلى مزيد من التأثير في ذهن المتلقين على أساس أنَّ الكلمة المختارة أعلق بعالم خطابهم وأمضى أثراً فيه [١٩] .

على هذا النحو تتجلى ميزة الكلمة في سياقها، وعلى هذا النحو يشرع الدكتور عبد الله صولة في تأصيل مفهوم يتيح له أنْ يلجَ إلى معجم الكلمات القرآنية، وهذا المفهوم يلخصه بقوله: "إنَّ للكلمة خصائص في ذاتها، تستمدها من اللغة ومن التداول، تجعلها مؤهلة بطبيعتها لتكون ذات صبغة حجاجية، ترشحها لتكون من معجم

(١٦) ينظر : الحجاج:٧١-٧٢ .

(١٧) ينظر : المصدر نفسه: ٧٢ .

(١٨) ينظر: الحجاج: ٧٣.

(١٩) ينظر: المصدر نفسه: ٧٣.

الخطاب الحجاجي وقوام جداوله اللغوية. وإنَّ لها في الخطاب، بناءً على تلك الخصائص، حركة تقصي فيها غيرها وتعوضه وتحل محله، ليكون الخطاب أوغل في الحجاج وأذهب في الإقناع"[٢٠].

من هنا عمد المؤلف إلى تخصيص الباب الأول من كتابه للكلمة، فتوزعت الرؤية وفقاً لذلك بين خصائص الكلمة- الاقتضائية، التقويمية، التداولية- وحركة الكلمة الحجاجية بناءً على خصائصها في اللغة (الاقتضاء والتقويم)، وحركة الكلمة الحجاجية في القرآن بناءً على خصائصها في التداول والاستعمال.

إنَّ المؤلف بهذا التأصيل وهذا التقسيم للكلمة يكشف عن دور الكلمة وأثرها، فلم تعد كما تعلمنا تكتسب دلالتها من السياق الذي ترد فيه فحسب، وإنَّما تكسب السياق أيضاً خصائصها ودلالتها وأبعادها الحجاجية، لتغدو بذلك ذات وقع معنوي بمكونها الدلالي المتراكم الذي اكتسبته من تاريخ استعمالها، فللكلمة حياة تتنامى وتتسع، وعندما توظف في خطاب تلقي بظلالها الدلالية عليه، هذا فضلاً عما لها من دلالة معجمية، ليغدو الخطاب أمضى تأثيراً وأشد إقناعاً، وما كان هذا ليكون من دون النظر إلى حركة الكلمة التي تتجلى في بيان ميزتها وأفضليتها على المستوى العمودي الذي يضعها بين نظيراتها من الكلمات في المعجم اللغوي، تلك الميزة والأفضلية التي رشحتها لتكونَ عنصراً فاعلاً في الخطاب اللغوي.

ومن الأمور التي أفاض المؤلف في دراستها مسألة المقتضى منطلقاً في ذلك من فكرة أنَّه "توجد كلمات لها في ذاتها مقتضى، حتى إذا ما أُقحمت هذه الكلمات في تراكيب كانت هي المسؤولة عن ظهور المقتضى فيها انطلاقاً من معناها المعجمي أساساً"[٢١]، ومفهوم المقتضى الذي تبناه المؤلف يفصح عنه حين يقول هو "تقريباً ذلك المقتضى الحاصل من الكلمة في حد ذاتها على النحو الذي حدده ابن فارس (٣٩٥هـ) حين قسّم الأسماء أنواعاً خمسة: اسم فارق" كقولنا "رجل" و "فرس" فرقنا بالاسمين بين شخصين و "اسم مفارق" كقولنا "طفل" يفارقه إذا كَبُرَ، و "اسم مشتق" كقولنا "كاتب" من الكتابة، و "اسم مقتضٍ" كقولنا "أخ" و "شريك" و "ابن" و "خصم"، كل واحد منها إذا ذكر اقتضى غيره، لأنَّ الشريك مقتضٍ شريكاً والأخ مقتضٍ آخر"[٢٢]. والأصوليون أولوا المقتضى اهتماماً كبيراً، وقد حده الشريف الجرجاني(ت٨١٦هـ) فقال "المقتضى هو عبارة عن جعل غير المنطوق منطوقاً لتصحيح

(٢٠) المصدر نفسه: ٧٤.

(٢١) الحجاج: ٨٨.

(٢٢) الصاحبي في فقه اللغة وسنن العربية في كلامها: ٥٤، وينظر: الحجاج: ٨٩.

المنطوق مثاله: فتحرير رقبة.وهو مقتضٍ شرعاً لكونها مملوكة، إذ لا عتق فيما لا يملكه ابن آدم، فيزاد عليه ليكون تقدير الكلام: فتحرير رقبة مملوكة"[٢٣]، إنَّ هذا التعريف ملتبس بالبعد الشرعي، ولم يكن ذلك من اهتمام المؤلف، هذا من ناحية، من ناحية أخرى يفيد المؤلف من الدرس الغربي في نظرته إلى المقتضى، فهناك المقتضى المعجمي، ومأتاه معنى الكلمة المعجمي، والمقتضى المعجمي للكلمة يشكّل محتواه –فيما يرى المؤلف – ملفوظاً ضمنياً يقبع تحت المُحتوى الملفوظ المنطوق. وهكذا فإن قولنا "أنكر أنني صديقه" ملفوظه المنطوق هو من قبيل "تنكر لي" وملفوظه الضمني الناشئ عن مقتضى"أنكر" المعجمي هو"أنني صديقه"، وبناء عليه يكون شأن المقتضى المعجمي أن يَسِمَ الملفوظ الذي يحمله بميسم دلالي وحجاجي خاص أي بما يسميه ديكرو " وقع الكلمة المعنوي". وهذا لا يعني أن لكل الكلمات مقتضى معجمي كما حُدد مفهومه آنفاً، فمن أسماء الجنس وأسماء الأعلام مثلاً ما ليس له مقتضى، أما في القرآن فكان الاستعمال للكلمات التي تحمل معاني كلماتها مقتضى معجمياً[٢٤].

من هنا اختار المؤلف أكثر الكلمات تواتراً في القرآن الكريم (الله) (الكافرون) وسنحاول تتبع معالجات المؤلف لهذه الكلمات في الباب الأول، وقد شرع المؤلف بالمقتضى المعجمي للفظ الجلالة (الله)، وبعد قراءة طويلة ودقيقة في أصل الكلمة المعجمي وأصلها الاشتقاقي يصل المؤلف إلى نتيجة مفادها أن لهذه الكلمة مقتضيين معجميين الأول: إن قولنا (الله) من (إله) بمعنى مألوه أي معبود يقتضي ضرورة وجود مؤلِّه أي عابد وهو الإنسان، فهو خالقه ورازقه والإنسان مطالب بالعبادة والخضوع له، فقولنا (الله) منطوقاً هو قولنا ضمنياً إننا عباد له، وإننا تبعاً لذلك ضعفاء محتاجون، وكونه الخالق الرازق يقتضي منا الاعتراف بفضله علينا، إن كلمة (الله) من حيث مقتضاها المعجمي هذا آسرة بنحو ما، مُلزِمة على نحو ما [٢٥].

المقتضى الثاني: على أن اعتبار اسم (الله) علماً منقولاً غير مرتجل، ثم إن حرف التعريف ليس للجنس وإنما هو للعهد، ذلك أنها لو كانت للجنس لما أفاد لفظ الجلالة التوحيد، ودخول الألف واللام إذ أخرج الكلمة من الصفة المشاعة إلى العلمية التي تفيد الانحصار، قد نهض لوظيفة حجاجية مهمة في المحيط اللغوي والعقدي الذي ظهرت فيه، فحرف التعريف إذ يحصر الإلوهية في

(٢٣) التعريفات : ١٨٣ ،وينظر: الحجاج: ٨٧.

(٢٤) ينظر: الحجاج: ٨٩–٩١.

(٢٥) ينظر: المصدر نفسه: ٩٦–٩٧.

الله يُقصي فكرة أن يكون غيره شريكاً له فيها، مما كانت العرب تتخذه آلهة. وفكرة التوحيد قد عرفتها العرب، وصاغوا لفظها الدال عليها (أي الله) قبل ظهور الإسلام بكثير قبل دخول الإشراك فيهم، ومهما يكن من أمر فإن دخول الألف واللام على كلمة (اله) قد أكسب معنى الكلمة مقتضيين اثنين هما: إن الله هو الإله الواحد، وإن آلهة خصوم القرآن من المشركين ليست من الإلوهية في شيء [٢٦].

إن هذا المقتضى رشح الكلمة لكي تكون أكثر الكلمات دوراناً في القرآن منذ أن أصبح موضوع الوحدانية هو الموضوع الأساسي فيه، وفي الحديث عن حقيقة وحدانية الله في القرآن كان دائماً بالتصريح أو التلميح، دعوة للمتلقين إلى الإيمان بها على نحو يتحول معه مقتضى معنى كلمة (الله) من مقتضى معجمي إلى مقتضى تداولي أو براغماتي [٢٧]. والمقتضى البراغماتي كما صرح به المؤلف، هو مجمل الشروط الموضوعية الحاصلة في الواقع أو المقام خارج الملفوظ المساعدة على تحقيق العمل اللاقولي سواء أكان أمراً أم نهياً أم استعطافاً إلى غير ذلك، وسواء أكان لا قولياً أولياً، كالأمر الصريح أم لا قولياً مشتقاً، فكلمة (الله) إذ ترد في سياقات قرآنية كثيرة هدفها تحقيق عمل لا قولي ما، تؤدي بواسطة مقتضاها المعجمي شرطاً من الشروط التمهيدية التي تمهد لنجاح الرسالة، وهذا الشرط هو أنه المعبود، ولا معبود غيره، وان الإنسان متلقي الرسالة عابد، وهو تبعاً لذلك ضعيف عاجز مُؤتمِر حتماً بأوامر المعبود، وبذلك يتحول المقتضى المعجمي لمعنى كلمة (الله) في السياقات التي يرد فيها إلى مقتضى براغماتي، فجمل (اتقوا الله)، (اطيعوا الله)، (آمنوا بالله) (اعبدوا الله) يتوافر فيها من الشروط التمهيدية (أو المقتضيات البراغماتية المؤدية إلى تحقق أوامر التقوى والطاعة والإيمان والعبادة، ويسمى هذا الشرط (شرط الاستعمال)، ومدار هذا الشرط على أن (الله) يقتضي من حيث إنه المألوه أو المعبود الذي لا معبود سواه تقياً ينبغي أن يتقيه، وطائعاً ينبغي أن يطيعه، ومؤمناً ينبغي أن يؤمن به، وعابداً ينبغي أن يعبده، وهم عابدوه المفترضون في معنى لفظه[٢٨]. إن كلمة (الله) ذات خصائص ثلاث آخذ بعضها بحجز بعض، فهي ذات مقتضى معجمي يتحول إلى مقتضى براغماتي، وهذا المقتضى البراغماتي يتحول إلى طاقة أو قيمة تأثيرية تضمن للملفوظ الذي يحملها أن تحقق دلالته بها، إن كلمة الله بانطوائها على مقتضى معجمي ما، إذ تسجن المتلقي في وضع ذهني يكون فيه في موقع الضعيف العاجز، توجه بعد ذلك

(٢٦) ينظر: الحجاج: ٩٧-٩٨.

(٢٧) ينظر: المصدر نفسه: ١٠٤.

(٢٨) ينظر: المصدر نفسه: ١٠٣-١٠٤.

الحوار في الملفوظ القرآني وجهة حجاجية مخصوصة من خلال " السلطة القضائية" الكامنة في كلمة "الله" من جهة مقتضاها المعجمي[٢٩] .

أما كلمة (الكافرون) والكلمات القريبة منها، ففي سياق البحث عن المقتضى المعجمي يربط بين الأصل اللغوي لهذه الكلمة ودلالتها في السياق القرآني، إذ "الكفر من قولك كفرتُ الشيء إذا غطيتُه يُقال لليلٍ كافرٌ، لأنه يَسترُ بِظُلمَتِه كل شيء، ومنه قول الله عز وجل ﴿ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ﴾(الحديد:٢٢) يريد بالكفار الزُرَاع سماهم كفاراً، لأنهم إذا ألقوا البذر في الأرض كفروه وغطوه وستروه، فكأنّ الكافر ساتر للحق وساتر لنعم الله"[٣٠]، ومن هذا المقتضى المعجمي يظهر البعد الحجاجي لكلمة (الكافرون) والقريبة منها (الذين كفروا)، (الكفار)، إذ ترد من دون أن يذكر متعلقها تفيد جاحدي النعمة على الإطلاق، وهذا المقتضى "أنه أنعم الله عليه وأن هناك نعمة ما"، فهذه الكلمات تكمن طاقتها الحجاجية فيما تؤديه ضمنياً من معنى، وهذا المعنى الضمني أو بالأحرى السمات الدلالية الضمنية، هي أن المشركين، وهم المخاطبون في سياقات كثيرة، قد أنعم الله عليهم نعمة ما أو نِعَم ما، من ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴾ (آل عمران:٤) وقوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (التوبة:٣) وهذه النعم هي رسالة محمد (ﷺ) وما فيها من دعوة التوحيد والإيمان بالبعث والثواب والعقاب. فعلى هذا يأتي معنى كلمة (الذين كفروا) مقتضياً حقيقة الرسالة النبوية على أنها حق قائم ونعمة سابغة [٣١] .

ولقد أسهمت كلمة (الكافرون) بإطلاقها على عرب مكة في إذكاء غضبهم من الرسول (ﷺ) وحقدهم عليه، وذلك بحسب رأي المؤلف، لا لأنها مجرد تهمة، وإنما لأنها تهمة تحمل في طياتها على وجه الاقتضاء حقيقة، جاءت تزعزع في أذهانهم حقيقة أخرى، على أن المقتضى من معنى كلمة (الكافرون) قد يُؤتى به ليُدخل انقلاباً دلالياً على محتوى الملفوظ الذي ترد فيه هذه الكلمة، ويحصل ذلك على وجه الخصوص في الأقوال التي يوردها القرآن حكاية عن الخصوم ناعتاً إياهم بهذه الصفة، ومن قبيل [٣٢] ذلك قوله تعالى: ﴿ وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴾ (ص:٤) حيث يأتي المقتضى من (الكافرون) وهو

(٢٩) ينظر: الحجاج : ١٠٦.

(٣٠) تفسير غريب القرآن، ابن قتيبة الدينوري: ٢٨، وينظر: الحجاج ١١٦.

(٣١) ينظر: الحجاج: ١١٦–١١٨.

(٣٢) ينظر: الحجاج: ١١٩–١٢٠.

هنا "حقيقة كون الله واحداً وكون محمد رسوله"، وكون ذلك هو النعمة المكفور بها، مبطلاً قول المشركين "إن محمداً ساحر كذّاب" على نحوٍ يبدو معه قول المشركين هذا قائماً في مجمل الآية على تناقض بين منطوق الملفوظ العام والمقتضى الحاصل من معنى كلمة (الكافرون) فهو خورٌ من خور، وذلك على النحو الآتي[٣٣]:

دلالة المنطوق في قول الكافرين	دلالة المقتضى في معنى (الكافرين)
↓	↓
كون محمد ساحراً كذّاباً ≠	كون محمداً رسولاً حقيقة قائمة ونعمة ظاهرة

إن هذه الآية الكريمة وغيرها كثير في القرآن ينهض فيها الضمني الذي تنطوي عليه (الكافرون) (الذين كفروا) بوظيفة حجاجية في اختراق أقوال الخصوم وخرقها وإبطالها وإظهارها، عند حكايتها عنهم بطريقة معينة (هي لغتهم بالكفر) في صورة أقوالهم الخرقاء التي تُعاد إلى أصحابها وتُلقَى على مسامع المتلقين عامة لتطلعهم على مدى فساد منطقها، وعلى هذا تتحول طبيعة الآية المذكورة آنفا بفضل مقتضى (الكافرون) من ملفوظ إخباري إلى ملفوظ ذي قيمة لا قولية مشتقة من قيمته القولية من قبيل: "آمنوا بمحمد رسولاً منذراً"[٣٤].

على هذا النحو تبرز مقتضيات الكلمة لتنهض بوظيفة حجاجية لها خطورتها ولها وقعها وتأثيرها في المخاطبين. ولقد عمدنا في هذه الاقتباسات المطولة إلى تجلية مكامن التجديد في التحليل اللغوي الذي لا يقف عند المعنى المعجمي للكلمة ودلالتها في السياق الذي ترد فيها، بل نجد الكلمة في ذاتها خصم وحجة لا تتقيد الرؤية إليها من زاوية، وإنما نلمح في تحليلات الدكتور عبد الله صولة إحاطة تطوق الكلمة وتحاصرها بل وتفككها من دون تفكيك، بعبارة أخرى تفككها في مقتضياتها مع الحفاظ على صورتها الصوتية، فأتاحت للباحث النظر من داخل الكلمة ومن خارجها، والمؤلف في مدار تحليلاته يقدم للقارئ العربي دروساً قيّمةً في كيفية التعامل مع النصوص اللغوية عامة والقرآن خاصة.

لقد ألحق المؤلف بصفة (الكافرون) و (الذين كفروا) و (الكفار) صفة "الظالمون" و "الذين ظلموا" وصفة "الفاسقون" على أساس أنها صفات تطلق عادة على خصوم القرآن إجمالاً لا تفصيلاً.

ومعنى الظلم في المعجم "وضع الشيء غير موضعه، والمظلومة: الأرض التي حُفِر فيها ولم تكن موضع حفر، سُميت بذلك، لأن الحفر وُضِع غير موضعه، فكأنَّ الظالم هو الذي أزال الحق عن جهته وأخذ ما ليس له. من هنا تقتضي صفة "الظالمون" و "الذين ظلموا" وجود نقطة دائرة وقع الخروج عنها، هي نقطة الحق، فهذه

(٣٣) ينظر: المصدر نفسه: ١٢٠-١٢١.

(٣٤) ينظر: تفسير غريب القرآن: ٢٨. وينظر: الحجاج: ١٢٢.

الصفة إذ تطبق على خصوم القرآن تضعهم موضع الاتهام في ضوء حقيقة ضمنية، هي حقيقة وجود الحق الذي ضيعه الظالمون، لهذا عرّف ابن عاشور الظلم على أنَّه "الاعتداء على حق صاحب الحق"[٣٥] فهذا يقتضي وجود حق وصاحب حق ملازمين لصفة "الظالمون"، فيكون المنعوتون بهذه الصفة لا فكاك لهم عن كونهم محجوجين [٣٦].

ويضيف المؤلف صفة أخرى في صفة "الفاسقون" والفسق في اللغة من قولهم: فسق الرطب إذا خرج من قشره، وفسق فلان خرج عن حجر الشرع، وأكثر ما يُقال الفاسق لمن التزم حكم الشرع وأقرّ به ثُمَّ أخلَّ بجميع أحكامه أو ببعضه [٣٧] فمعنى الفسق هذا يقتضي وصفاً أول سوياً، وصفة "الفاسقون" تقتضي أن الموصوفين بها كانوا في وضع ما، ثم خرجوا منه، من هنا تعد صفة "الفاسقون حجاجاً في مستويين، فهي في مستوى أول تقتضي وجود وضع أول سوي هو "حجر الشرع"، وهي في مستوى ثانٍ تقتضي أن الموصوفين بها عرفوا هذا الوضع، وأقاموا فيه حيناً من الدهر ثم غادروه وخرجوا عنه [٣٨].

ومثلما للكلمة خصائص اقتضائية لها أيضاً خصائص تقويمية وأبعاد حجاجية، وهذا ما انعقد له المبحث الثاني من الفصل الأول، والتقويم من "قومت المتاع حَددتُ قيمته"[٣٩]. والتقويم في اصطلاح الفلاسفة تحديد قيمة الشيء بإطلاق حكم قيمي عليه يرفعه أو يحطه بالنسبة إلى معايير أو مبادئ كونية قوامها العقل أو التواضع الاجتماعي أو ذاتية عاطفية خاصة، وهناك تقويم غير أخلاقي يتعلق بالمقادير والأحجام والمسافات ودرجات الحرارة. وتقويم أخلاقي لكونه إلقاء بحكم قيمي وأخلاقي على الأشياء مثل "حسن" "قبيح". والكلمات ذات الطابع التقويمي، كما يقول المؤلف في القرآن كثيرة جداً مثل كلمتا "المؤمنون" و "الكافرون" وهما تفيدان حكماً تقويمياً أخلاقياً [٤٠].

ويقدم المؤلف في هذا السياق جدولا إحصائيا للكلمات التي تحمل بعدا تقويما، محاولا الوصول إلى بعدها الحجاجي من خلال

(٣٥) التحرير والتنوير، ابن عاشور: ١٠٣/٩. وينظر: الحجاج: ١٢٢.

(٣٦) ينظر: الحجاج: ١٢٢.

(٣٧) ينظر: المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني: ٣٨٧.

(٣٨) ينظر: الحجاج: ١٢٣.

(٣٩) لسان العرب، ابن منظور، مادة (ق.و.م). وينظر: الحجاج: ١٢٩.

(٤٠) الحجاج: ١٣١-١٣٢.

خصائصها التقويمية، من خلال رؤية فلسفية لسانية للتقويم أو الحكم القيمي، وهو ضربان: تقويم غير أخلاقي، وتقويم أخلاقي، والذي يهمنا الضرب الثاني، فهو القاء بحكم قيمي واخلاقي على الاشياء مثل "حسن" و "قبيح"[٤١].

وتنطبق صفة "القبيح" على الأشخاص والأشياء والمفاهيم والأعمال والأقوال الموصوفة بهذه الصفات، فهي كلها غير مستقيمة وتحمل ضمنياً صفة "قبيح"، وخصوم القرآن إذ يوصفون بـ "الكافرون" و "الظالمون" و "الفاسقون" و "الضالون" و "المجرمون" و "الفجار" وغير ذلك، يكونون قد صنفوا أخلاقيا في باب "القبيح"، ويفهم من تلك الأوصاف المطلقة عليهم أن عدم التسليم بأطروحات القرآن أمر قبيح. كما إن المصدقين بأطروحات القرآن إذ يوصفون بـ "المؤمنون" و "الصادقون" و "الصالحون" و "المهتدون" وغير ذلك يكونون قد صنفوا في باب "الحسن" ويفهم من أوصافهم تلك أن التصديق بأطروحات القرآن أمر "حسن"[٤٢] ويدعم بعد الاستحسان والاستقباح الكامن تحت هذه الكلمات القرآنية ذات التقويم الأخلاقي، كثرة ورود تعبيري "الله يحب" و "الله لا يحب" وكل ذلك نهاية الأمر يرجع إلى ثنائية حسن وقبيح على التوالي.

ومن جانب آخر يضع المؤلف وظيفة الاستحسان والاستقباح للكلمات القرآنية ذات البعد الأخلاقي المعبرة من جهة المتكلم عن معنى "أحب/ لا أحب" في نطاق النظرية الانفعالية، التي أقامها فلاسفة الأخلاق في دراستهم بصفتي "حسن" و "قبيح" التي تعبر عن موقف المتكلم تجاه أشياء في العالم والقائمة على الترغيب بالشيء لكونه حسناً والتنفير من الشيء لكونه قبيحاً، بيد أن هذين المفهومين يتجاوزان عند المؤلف في القرآن الكريم البعد النفسي الانفعالي إلى تدبر البعد العملي المباشر للملفوظ الأخلاقي، وعلى هذا يميل الدكتور صولة إلى إتباع النظرية الأخلاقية التي قامت على اعتبار الملفوظ الأخلاقي توجيهاً للعمل وإلزاماً به لا مجرد تعبير عن انفعال أو دعوة إلى عمل شيء، فهو بذلك كلام إلزامي يُلزم بالعمل به، ولا يكتفي بالدعوة إليه بواسطة الترغيب والتنفير[٤٣].

إن تطبيق هذا الرأي على الكلمات القرآنية ذات أحكام القيمة الأخلاقية الراجعة ضمنيا إلى مدار "حسن/قبيح" يكشف عن وجود قيمة لا قولية نستنبطها منطقياً منها. ومدار هذه القيمة اللاقولية على الأمر بفعل ما لكونه حسنا، والنهي عن فعل آخر

(٤١) ينظر: الحجاج: ١٣٠ .

(٤٢) ينظر: المصدر نفسه: ١٤٨-١٤٩.

(٤٣) ينظر: الحجاج: ١٥١.

لكونه قبيحا [٤٤]. وهذا التوجيه من وجهة نظر المؤلف يخرج الباحث اللغوي من دائرة فهم الكلام القرآني فهما تقليدياً يحصر دلالة الألفاظ التقويمية في ما سبق أن اصطلح عليه بـ "النظرية الانفعالية".

وفي مبحث خصائص الكلمة التداولية وأبعادها الحجاجية عالج المؤلف خصائص الكلمة مصنفاً إياها بين الألفاظ العربية، وألفاظ معربة والسؤال كيف تعامل القرآن معها، وهنا يجيب المؤلف، إن القرآن حافظ على الكلمة نفسها مع إضافة معنى شرعي. من ذلك كلمة "مؤمن" وكلمة "إسلام"، ومن الكلمات ما حافظ القرآن على معناها الديني قبل نزوله مع زيادة قيود شرعية، مثل ما أصبح بكلمة "صيام" وكلمة "الحج" من معانٍ. فضلاً عن الحفاظ على الكلمة نفسها مع نقلها من مجال الحقيقة إلى المجاز مثل المنافق والكافر والفاسق وغيرها. وكذلك الحفاظ على الكلمة مع نقلها من مجالها الوثني عند العرب في الجاهلية إلى مجال التوحيد ولاسيما ما يتعلق بأسماء الله الحسنى [٤٥].

ويرى المؤلف إن هذه الأصناف من الكلمات في القرآن الكريم تلتقي عند نقطة واحدة، هي الحفاظ على ما هو قائمٌ وجارٍ من كَلِمٍ مع إدخال تغيير عليه بوجه من الوجوه. والدافع في ذلك برأي المؤلف هو نزوع القرآن إلى تحقيق مبدأ الاستمرار التاريخي من ناحية ومبدأ القطعية من ناحية أخرى. وذلك أن "حكم النص يمكن أن يحلل من زاوية إنتاجه في المجتمع الذي ظهر فيه وقُبِلَ ورُوِيَ وانتشر: آنذاك يتبين أنه في استمرارية مع المجتمع الذي ظهر فيه من ناحية، ويمثل قطيعة مع المثل السائدة فيه من ناحية أخرى، في آن واحد، وفعلاً فهو يستعمل لغة مفهومة في ذلك المجتمع، ويستغل أطرها الذهنية، ولكنه في خدمة خطاب جديد يبدو للموجه إليهم بمثابة الدعوة عن الإقلاع عما ألفوه وإلى إعادة نظر جذرية في البنى الفكرية والاجتماعية السائدة، ويوحي بالطبع بنماذج بديلة"[٤٦].

وفي الفصل الثاني من الباب الأول يقعد المؤلف جانباً من جوانب دراسته لـ(حركة الكلمة الحجاجية) ويقصد بحركة الكلمة "مزاحمتها غيرها من الكلمات اللاتي هنَّ من جدولها المعجمي (مرادفاتها مثلاً إن صحت مقولة الترادف، أو هي من غير جدولها المعجمي، لكن شاءت لعبة المجاورة بواسطة المجاز المرسل خاصة ولعبة المشابهة بواسطة التشبيه والاستعارة مثلا أن تجعلهن جميعا من جدول واحد فينشأ تنافس وتدب في صفوفهن حركة من أجل أن

(٤٤) ينظر: المصدر نفسه: ١٥٣.

(٤٥) ينظر: المصدر نفسه: ١٥٧–١٥٨.

(٤٦) لَبنات، عبد الحميد الشرفي: ١٠٣. نقلاً عن كتاب الحجاج: ١٥٩.

تظفر إحداهن بمكان لها في الملفوظ عوضاً عن سائرهن تتحقق فيه وتستبد به وتقصيهن"[٤٧].

وقد عمد المؤلف إلى اعتماد مفهومين أسلوبين في رصد حركة الكلمة في القرآن الكريم بناءً على ما لها خصائص اقتضائية وتقويمية وتداولية، وهذان المفهومان هما العدول والاختيار. متطرقاً إلى أنواع متعددة من العدول كالعدول عن الاسم إلى الصفة، العدول عن الصفة إلى الصفة، العدول عن الخاص إلى العام، العدول عن المفرد إلى الجمع... وغيرها، وسنقف عن نوع العدول من الصفة إلى الصفة، وذلك لأن هذا النوع من العدول رصد فيه المؤلف صفات كان قد درسها في باب خصائص الكلمة، ولكي تستكمل لدينا دائرة التحليل اللغوي لهذا الكلمات، وهي العدول عن كلمة "المشركون" إلى "الكافرون" و "الظالمون" و "المجرمون" و "الفاسقون" و "الفجار"، إذ تَطَّرد هذه الكلمات في القرآن بكل ما لها من معانٍ ومقتضياتٍ وشحناتٍ تقويميةٍ، تجعلها ذات بعد حجاجي داخل الخطاب القرآني، ويصبح هذا البعد الحجاجي أوضح وأعمق حين نعرف أن هذه الكلمات كثير مجيؤها معوضة عن كلمتين أخريين ليس لهما الدلالة الحافة نفسها ولا نفي المقتضيات التي لهذه الكلمات، وهاتان الكلمتان هما "المشركون" و "الشرك"[٤٨].

والعرب في الجاهلية لم يكونوا يتحرجون من أن تطلق عليهم صفة "المشركون" كما يقول المؤلف، ويسوق الأدلة على ذلك، فهم على وعي بطبيعة عقيدتهم الإشراكية. وعلى هذا تكون كلمة "المشركون" ذات شحنة موضوعية، فهي غير مفيدة تقويماً أخلاقياً أو عاطفياً، ومقتضاها يسلم به المشركون ولا يرون الحقيقة في غيره. من هنا عدل عنها فيما يرى المؤلف إلى الصفات المذكورة آنفاً. وللعدول وجوه حجاجية منها إن في خلع هذه الصفات على "المشركين" بعداً اقتضائياً من نوع يتمثل في أن إطلاقها عليهم يجعل هذه الصفات لائطة بهم على وجه لا يقبل الدحض، والحديث عنهم بهذه الصفات يقتضي أن الشرك كفر وظلم وإجرام وفسق وفجور. ولما كانت الصفات المعدول إليها تفيد أحكاماً قيمية – بعكس كلمة "المشركون– بات من شبه اليقين– والله أعلم– أن في عدول القرآن إلى هذه الصفات بحثاً عن إقامة الحجة البراغماتية بكل ما ترمي إليه الحجة البراغماتية من تأثير مباشر في توجيه العمل"، أي الغاية منها تغيير السلوك وتوجيه العمل[٤٩].

(٤٧) الحجاج: ١٦٩.

(٤٨) ينظر: الحجاج: ١٨٦.

(٤٩) ينظر: المصدر نفسه: ١٩٢–١٩٥.

مستوى التركيب:

عقد المؤلف باباً للتركيب في كتابه وسمه بـ "التركيب في القرآن: خصائصه ووجوه الحجاج فيه، وناقش فيه التركيب وما انضوى تحته من أنواع متدرجاً في ذلك نحو الكلام والجملة وآراء النحاة فيهما، ولعل الباحث أراد الوصول إلى نقطة ينطلق منها في دراسة التركيب في القرآن وخصائصه ووجوه الحجاج فيه، وتمثلت هذه النقطة عند الباحث بـ"الجملة في مظهرها الخبري الابتدائي البسيط المجرد، باعتبارها من الناحية النحوية مفيدة معنى في ذاتها، وبصرف النظر عن استعمالاتها القولية المختلفة المرتبطة بالمقامات المختلفة لن تتوخى فيها زيادة ولا نقصان بالنسبة إلى صورتها الخبرية الابتدائية المذكورة. فإذا زيدت بتأثير المقام أو لخلق مقام لفظا لإفادة معنى زائد على معناها الأصلي الذي لها في صورتها الابتدائية تلك سُمي ذلك عندنا عدولاً كميا بالزيادة، وإذا انقص منها بفعل المقام أو لصنع مقام أيضا لفظ لفائدة معنوية ما سمينا ذلك عدولا كميا بالنقصان. وعلى هذا فالتركيب، شأن الكلمة، وقد رأينا ذلك، متأثر بالمقام مؤثر فيه أو يرمى إلى التأثير فيه"[٥٠]. ويسوق على ذلك أمثلة على العدول الكمي بالزيادة انتقالنا من (خرج زيدٌ) و (زيدٌ خرج) إلى (إن زيداً خرج) و (زيد هو الخارج) و (والله إن زيدٌ خرج) و (لقد خرج زيدٌ) في الأمثلة السابقة زيدت ألفاظ التوكيد بما في ذلك ألفاظ القسم لأداء معانٍ هي زوائد بالنسبة إلى المعنى الحاصل من أصل الجملة في تشكلها الخبري الابتدائي[٥١].

ويعلل الباحث اختياره الجملة البسيطة المجردة مقياساً يتحدد في ضوئه أنواع العدول المذكورة، في كون اعتماده هذا المقياس تترتب عليه فوائد ثلاث تدعم نهجه في كتابه على وجه النصوص، أولها أنه يتجنب بواسطته التخمين وعدم التحقيق في تعيين "درجة الصفر". وثانيها لم شتات الظواهر الأسلوبية كما وردت في كتب علوم القرآن تحت تسمية واحدة جامعة لها مهما كان اختلافها كبيراً وخرق ما بينها بعيدا. أما الفائدة الثالثة فهي الأهم إذ عليها مدار هذا الباب في جوهره –كما يرى المؤلف– وتتمثل في أن ربط العدول الطارئ على الكلام بأثر المقام من ناحية وبما يرمي إليه من تأثير في المقام من ناحية أخرى يجعل للعدول بعداً آخر، ويعيّن له وظيفة أخرى غير بناء الوظيفة الشعرية أو الجمالية في الكلام، وهي الوظيفة الحجاجية التي ينهض بها الكلام المنبني على العدول.

(٥٠) الحجاج: ٢٤٢.

(٥١) ينظر: المصدر نفسه: ٢٤٢–٢٤٣.

وبذلك ننتقل بالعدول من عدول غايته أحكام صنعة الكلام وصنع جماله إلى العدول بما هو مدار حجاج ومناط إقناع [٥٢].

إن المؤلف وهو يصرح بالكلام المذكور آنفا يحاول أن تتقيد النظرة إلى الخطاب القرآني بالوظيفة الجمالية للتراكيب، وهذا ما نجده عند عبد القاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز، بل يتمتم على الدارس أن ينظر الخطاب القرآني جاعلا في نصب عينه وظيفته الحجاجية التي تنطلق من كونه خطاباً وظيفته الإقناع والتأثير، ويقدم القرآن نفسه على أنه (تغيير لوضع) و (حل لمعضلة) و (ينبذ العنف الذي هو عكس الحجاج) و(استجابة لسؤال أمة)[٥٣] وكلها وجوه ذات علاقة بالحجاج في معناه.

من هنا جاء أسلوب القرآن ليعكس ذلك كله عبر آليات اللغة التي ألفها العرب ومن ذلك أسلوب التوكيد، ولقد أفاد في هذا السياق دعم أطروحاته من كتب علوم القرآن، وعلى نحو خاص البرهان في علوم القرآن للزركشي، والإتقان للسيوطي إلى جانب كتب أخرى منها دلائل الإعجاز للجرجاني ومفتاح العلوم للسكاكي وشرح المفصل لابن يعيش، ليخرج بنتيجة أن دخول (إنَّ، أنَّ) على الجملة، دخول على (إن) مع اللام، القصر، تكرير الجملة، النفي، العطف، البدل، المفعول المطلق كلها تعد من العدول الكمي بالزيادة الذي يطرأ على الجملة البسيطة (جملة الصفر)، وهذه العناصر تجعل الكلام بدخولها عليه ذا بعد حواري تفاعلي، فهي دليل على وجود خصومة وتناحر وصراع، وتمثل في الوقت نفسه شارات حجاجية تستدعي الضمني، وتفتح عليه وتومئ إلى النتيجة وتدفع إلى استنتاجها[٥٤]. من هنا جعل المؤلف للعدول الكمي بالزيادة داخل الجملة بعداً مفهومياً وبعداً اقتضائياً، وبعداً توجيهياً.

وسنحاول إيجاز أهم ما جاء في هذه الأبعاد من مظاهر حجاجية أكد عليها المؤلف ووجدنا فيها أطروحات تنبه الدارس إلى زوايا كانت غائبة عن مناط تحليل الخطاب اللغوي، وننوه أن هذه الأفكار ممتدة الجذور في الدراسات القرآنية واللغوية والعربية، بيد أنها لم تأخذ هذا العمق والسعة في التناول.

وفي هذا السياق وعند مناقشة المؤلف لآراء العلماء العرب والغرب يلجأ إلى تكوين رؤاه الخاصة عن ما يريده من (المفهوم) التي تتيح إظهار حجاجية التركيب، ولاسيما أن آراء العلماء حول المفهوم، فهو عند الأصوليين وقريب من ذلك معناه عند اللسانيين هو"ما يفهم ولا يصرح به" وهو"ما يستنبط من المنطوق" ويخلص المؤلف إلى أن المفهوم بهذين التعريفين وغيرهما من حيث طاقاته الحجاجية قانون

(٥٢) ينظر: المصدر نفسه: ٢٥١.

(٥٣) ينظر: الحجاج: ٤٣.

(٥٤) ينظر: الحجاج: ٢٦٠.

غير مستحكم الفصول، وذلك لما يتركه في الخطاب من فضاء حرية المخاطب يمكنه من المراوغة والزيغان، فهو غير ملزم ولا آسر. من هنا أدخل المؤلف تعديلين على (المفهوم) لإكسابه القدرة الحجاجية جاعلا منه حدث لغة على ما قدر ذلك الأصوليون قديما مرتبطاً بنوع من التراكيب اللغوية _ وإن لم يعدوا بعض أساليب التوكيد_ لذا غدا المفهوم الذي أشارت ودلت عليه قرائن في الملفوظ (هي قرائن التوكيد) حتى لكأن هذه الشارات وهذه القرائن تنطوي في ذاتها على مقام القول وتومئ اليه وتقوم بديلا عنه، واكتفى المؤلف من قرائن التوكيد بـ(إنَّ،إنَّ مع اللام والقصر والقسم)فهذه القرائن تمثل في القرآن قوة حجاجية تضغط ضغطاً مباشراً على المعني بالكلام، وتفرض على "الحوار" أن يسير في الاتجاه الذي يريده الخطاب[٥٥]، وهذا هو التعديل الأول. أما التعديل الثاني فيتوزع على قسمين اصطلح على الأول بـ(المفهوم الدلالي) والثاني بـ(المفهوم اللاقولي) وهذان المفهومان أحدهما بسبب من الآخر، فمدار المفهوم الدلالي على الفكرة الكامنة في طبيعة التركيب اللغوي، ويتوصل المتلقي إليها مستخدما كفايته اللغوية خاصة إلى جانب الكفاية المنطقية والثقافية، أما المفهوم اللاقولي فمداره على عمل القول الضمني فهو دعوة إلى العمل في ضوء تلك الفكرة المكونة لما أسميناه المفهوم الدلالي. وفي هذا السياق يشير المؤلف إلى أن المفهوم الدلالي الحاصل من التراكيب التي دخل عليها التوكيد يشكل نظرية فكرية أو أخلاقية، وبعبارة أدق إن هذا المفهوم الدلالي يكون في القرآن إما هدما لنظرية ما قائمة (أو محتملة الحصول) أو بناء لنظرية ما (أو تذكيرا بها) وتعني النظرية القائمة مجمل الأفكار والآراء والمكونات العقدية التي تشكل عالم خطاب الخصوم المخاطبين في القرآن أو المتحدث عنهم فيه، فيأتي مُنتجاً مفهوماً دلالياً يهدم تلك النظرية، وذلك على النحو الآتي[٥٦]:

(٥٥) ينظر: الحجاج: ٢٦٨.

(٥٦) ينظر: المصدر نفسه: ٢٦٨-٢٦٩.

الآية (وهي المنطوق)	النظرية المهدومة(وهي من المفهوم)
﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾(المؤمنون :١٦)	إذن ليس البعث كذباً
﴿يس (١) وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ (٢) إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾(يس:١-٣)	إذن ليست رسالتك(أو رسالة محمد) مُدَّعاة كما يقولون ← هدم للنظرية القائلة بعدم صحة الرسالة الإسلامية
﴿انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾(النساء:١٧١)	إذن ليس الإله "متعدداً"+ ليست الأصنام آلهة كما يعتقدون← هدم لنظرية الشرك

عند تتبعنا لتحليل المؤلف لسياق التوكيد في الآيات الكريمات نجد ملامحاً في التحليل دقيقة تعد درساً مدرسياً يتعلم في ظلاله الباحثون عن رؤى جديدة في قراءة النصوص العالية، والآيات إذ تصرح بنظرية القرآن منطوقاً، تفتح باب الضمني مفهوماً موجهة "الحوار" الوجهة التي يريدها القرآن بواسطة أداة الربط "إذن" فهذه الأداة تظهر في عالم الخطاب ضربة لازب، بانية على طريق الاستنتاج المفهوم من التوكيد، ومداره على هدم نظرية الخصوم. إن التوكيد يجعل الجملة التي دخل عليها مستوعبة للنظرية المعارضة منطوية عليها حاملة إياها في صلبها، فعلى هذا تكون الجملة المؤكدة قائمة على تعدد الأصوات "صوت القرآن" مُثبتاً وصوت الخصوم منفياً. والتوكيد بعد في الجمل المؤكدة إذ يفتح باب الحوار من الجهة التي يريدها القرآن كما رأينا، يغلقها نهائياً من الجهة التي "يناور" منها خصومه، جاعلاً بذلك كلمة الله هي العليا وهي الأخيرة، فمهما أوغل الخصوم في الإنكار وبالغوا في توكيد نفيهم لما جاء به القرآن، فإن الجملة القرآنية المؤكدة بإنَّ مع اللام والقسم وبالقصر، خاصة، تكون قابلة دائماً لتكون جواباً جاهزاً يردُّ وجوه الإنكار كلها ويبطل الإيغال في هذا الإنكار مهما تنوع وتعدد.

ولم تنحصر نظرة المؤلف للعدول الكمي بالزيادة على الجملة الواحدة، وإنما تجاوز ذلك إلى العدول الكمي بالزيادة بين الجمل، فيقول في هذا السياق موضحاً ذلك " تدخل الجملة على الجملة فتؤكد معناها وتحققه وتقرره ولا تنقضه أو تغير اتجاهه، على نحو تبدو معه هذه الجملة (أو الجمل) المؤكِدة مما يمكن الاستغناء عنه لحصول الكمال في معنى الجملة المؤكَدة. فمن أجل الاستغناء عن هذه الجملة (أو الجمل) أُدرِجتْ تحت مفهوم العدول الكمي

بالزيادة، وهو يشمل ظواهر أسلوبية عدة عرضت لها بالدرس كتب البلاغة وكتب علوم القرآن، منها التكرار والتتميم والتكميل والطرد والعكس والاعتراض والتذييل، ومعظمها يحصل بالكلمة مثلما يحصل بالجملة"[٥٧].

إن المؤلف لا يفتأ يلحُّ على فكرة تعد أساسيةً هي فكرة بناء العقيدة السليمة من لدن القرآن الكريم التي هي في الوقت نفسه هدم لمعتقد الكفر، ووسيلته في ذلك الوقوف على دلالة الجمل من حيث (المنطوق، المقتضى، المفهوم) وبيان طاقاتها الحجاجية، ويتجلى ذلك في استشراف الأبعاد الحجاجية للعدول الكمي بالزيادة بين الجمل، وسنختار من هذه التراكيب الاعتراض.

لقد عمد الدكتور عبد الله صوله إلى دراسة الاعتراض مفترضاً أن هذهِ الجمل إن رُفعَتْ من السياق لن يختلَ معنى الجملة، والسؤال الذي حاول الإجابة عنه ما البعد الحجاجي الذي تنهض به مثل هكذا جمل؟ وما أثرها الدلالي في الجمل المرتبطة بها؟ وأنها نوع من أنواع التوكيد كما صرح بذلك البلاغيون وعلماء علوم القرآن ، والمؤلف بعد ذلك يحاول إضافة رؤى جديدة وراء توظيف الجمل الاعتراضية على سبيل المثال في سياق ما، ما وظيفتها؟ هل هي دلالية كما صرح بذلك الزركشي؟ بيد أن المؤلف يشير إلى أن هذهِ الوظائف الدلالية يمكن ردها من الناحية الحجاجية إلى وظيفتين: وظيفة دعم القضية المعروضة في الجملة أو الجمل الأصلية المُعْترض بينها من ذلك قوله تعالى ﴿ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ (٢٢٢) نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ ﴾ [سورة البقرة: ٢٢٢-٢٢٣].

والوظيفة الثانية نقض القضية الأولى وإبطالها، من ذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ ﴾ [سورة النحل: ١٠١]. وبناءً على ذلك وضع المؤلف الاعتراض في القرآن الكريم في قسم كبير منه على محورين: محور إحقاق الحق، ويدخل ضمن طائفة الوظيفة الحجاجية الأولى، ومحور إبطال الباطل ويدخل ضمن طائفة الوظيفة الثانية.

والجملة المعترضة في الآية الأولى وهي ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ وقعت بين قوله تعالى (فأتوهن) وبين قوله تعالى ﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ ﴾، وهما متصلان معنى لأن الثاني بيان للأول [٥٨].

لقد تشكلت أطروحات المؤلف من كون الجملة المعترضة والتي تعد زائدة في السياق الذي ترد فيه، وهي مظهر من مظاهر الاتساق،

(٥٧) ينظر: الحجاج : ٣٣٧.

(٥٨) ينظر: البرهان في علوم القرآن ٣/٥٧-٦٠

والاتساق الذي يتبناه المؤلف هو " أن يكون كل مكون من مكونات الكلام لم يؤتَ به لذاته. ومعنى ذلك أن اختيار كل واحد من تلك المكونات يكون محدّداً باختيار مجموعها "[٥٩]. من هنا عدَّ العلاقة بين الجملة المعترضة والجملة أو الجمل التي تحتويها علاقة اتساق دلالي، قام في غياب البنية النحوية أو التعالق البنيوي على الرغم من غياب الرابط النحوي بينهما، إذ الجملة المعترضة أجنبية عن الأصلية بعبارة الدكتور تمام حسان[٦٠]. من هنا ينهض الاتساق الدلالي بين الجملتين بدور حجاجي مهم في علاقة الكلام القرآني بمتلقيه، ففي قوله تعالى ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ ﴾ قول أساسي من الناحية الحجاجية، فقد جاء يبطل رأي الخصوم في القرآن، ولولا هذا القول الاعتراضي لانقلب معنى الكلام في الجملة إلى ضده، فحذف الاعتراض في الآية الكريمة من سورة النحل يعني القبول بما جاء به الخصوم يتهمون به القرآن وهو أنه مفْتَرى ، بل الحذف يحول الكلام من إنشاء للاعتراض إلى مجرد حكاية عن المشركين في مزاعمهم [٦١].

على هذا النحو يسترسل المؤلف في استنطاق الآيات القرآنية محاولاً محاصرة النصوص بكل فكرة أو رأي يدعم توجهه في الكشف عن الأبعاد الحجاجية للجملة المعترضة، فيضيف في هذا السياق أن الجملة الاعتراضية التي مدارها على إبطال الباطل خاصة يدور الحوار بين طرفين، أحدهما يتهم، والآخر يبطل التهمة، وهو مظهر من مظاهر حيوية الكلام القرآني في تفاعله مع المحيط الذي نزل فيه، فالمعركة نُقلَت من السياق التاريخي الذي يدور فيه إلى السياق اللغوي في النص، جاعلاً كلمة الله- بواسطة الجملة المعترضة- هي العليا وهي الغالبة، إذ تأتي الجملة الاعتراضية مبطلة مضمون الجملة الأصلية. وفي محور إحقاق الحق يشير المؤلف إلى أن الآية المذكورة من سورة البقرة تأتي بهذه الدلالة وهي صورة التكامل، فالجملة المعترضة علاوةً على كونها قد تأتي لتؤكد بشكل صريح المعنى الحاصل في معنى الجملة الأصلية ذاك، ولتوفر له السند المنطقي، على نحو ما نجده في قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ ففي هذه الآية الكريمة وغيرها في مواضع كثيرة من القرآن تبدو الجملة المعترضة – كما يقول المؤلف- ركناً أساسياً في الكلام من الناحية الدلالية، وهو ما يفسره التباس وظيفتها النحوية في القرآن بوظائف إعرابية متممة وحتى أصلية أحياناً، فقد لاحظ ابن هشام (ت٥٧١هـ) في شأن الجملة المعترضة " أنها كثيراً

---

(٥٩) لسانيات النص- مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي. وينظر: الحجاج ٣٥٣.

(٦٠) ينظر: البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ١٨٣. وينظر: الحجاج ٣٥٢-٣٥٤.

(٦١) ينظر: الحجاج ٣٥٤.

ما تشتبه بالجملة الحالية "[٦٢] والزمخشري في مواضع كثيرة يجعل للجملة الاعتراضية محلاً من الإعراب –علماً أن الجملة الاعتراضية لا محل من الإعراب– فيحملها على وظيفة نحوية أصلية أو متممة. وهو ما يعني أن الجملة المعترضة مُؤهَلة من وجوه عدة لتكون جزءاً مهماً في الكلام، قد لا يمكن الاستغناء عنه، فهي منطوق متعلق بمنطوق آخر ووظيفة هذا التعليق حجاجية محضة [٦٣] .

الخاتمة

لعل هذه السطور لن تُلمَّ بكل ما خرجنا به من نتائج ولن تحيط بكل ما جاء في كتاب الحجاج في القرآن، بيد أننا سنحاول عرض أهمها:

- لقد أوجد الباحث لنفسه مفهوماً للحجاج هو حصيلة قراءة مطولة ومعمقة في أربعة اتجاهات حجاجية ليخرج بمفاهيم تتناسب وخصوصية الخطاب المدروس ألا وهو الخطاب القرآني.
- ربط المؤلف بين الحجاج والأسلوب ، وهو ما افتقرت له البلاغة في الغرب، والبلاغة عند العرب، منطلقاً من فكرة أن مظاهر الأسلوب في القرآن ذات بُعد حجاجي، وبيان ذلك والبرهنة عليه – كما يقول المؤلف– " بالدرس والتحليل مفض حتماً إلى اعتبار الأسلوب والحجاج في القرآن الكريم أمراً واحداً، فالأسلوب حجاجي، والحجاج يحمله الأسلوب " .
- اعتنى الدكتور عبد الله صولة عناية كبيرة بخصائص أسلوب القرآن على مستوى الكلمة ومستوى التركيب ومستوى الصورة، ليس من الناحية الجمالية التي نجدها عند عبد القاهر الجرجاني في نظرية النظم، وإنما أفاد من الأسلوبية المعاصرة التي نظرت إلى الأسلوب على أنه عمل وإنتاج للمعاني هدفه الإفادة باحثاً عن الآليات الظاهرة والخفية الباعثة على التأثير والإقناع بحيث يكشف للقارئ عن فاعلية كلام القرآن الحجاجية.
- شغلت مسألة الكشف عن دلالة المنطوق للكلمات والتراكيب حيزاً مهماً في هذا الكتاب، فضلاً عن الكشف عن مقتضاها ومفهومها، وذلك لبيان طاقاتها الحجاجية الكامنة.
- من هنا حاول المؤلف أن يبرهن على أن العدول في الكلام القرآني ليس لغاية أن يكون الكلام جميلاً، وإنما الغاية أن يكون الكلام حجاجياً مقنعاً، فكانت وسائله التي تحملها الكلمة والتركيب والصورة وإيجاد السند المنطقي للكلام.

(٦٢) مغني اللبيب عن كتاب الأعاريب ٢/٣٩٥. وينظر: الحجاج ٣٥٨

(٦٣) الكشاف ١/٣١٤و ٢/٤٨٣. وينظر: الحجاج ٣٥٨

ثبت المصادر والمراجع

- الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، عبد الله صولة، الطبعة الثانية، دار الفارابي- بيروت، ٢٠٠٧.
- الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، عالم الكتب – بيروت، (د.ت).
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود الزمخشري، الدار العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٦٨م.
- البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، دار المعرفة، بيروت ١٩٧٢م
- البيان في روائع القرآن، دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٣.
- التعريفات،، السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني، دار احياء التراث العربي، الطبعة الأولى، بيروت- لبنان، ١٤٢٤ه- ٢٠٠٣م
- المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، المطبعة الميمية، مصر، (د.ت).
- لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، ١٩٩١.
- كشاف اصطلاحات الفنون، محمد علي التهانوي، طبعة خياط بيروت ١٩٩٦، وطبعة كلكته ١٩٦٢، استانبول ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، ١٤٢٨ ه-٢٠٠٧م .

- التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر والدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلام، (د.ت) .

- مغني اللبيب عن كتاب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري، تحقيق: محيي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث العربي، (د.ت) .

- اللغة والحجاج، أبو بكر العزاوي، الطبعة الأولى، الطابع العمدة في الطبع، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٦م. الكتاب محمل من الانترنت من موقع سور الأزبكية.

- الحجاج في البلاغة المعاصرة–بحث في بلاغة النقد المعاصر، محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الطبعة الأولى، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ٢٠٠٨م.

- نظرية الحجاج في اللغة، شكري المبخوت، ضمن كتاب الحجاج في التقاليد الغربية، كلية الآداب، تونس جامعة منوبة.

- تفسير غريب القرآن ، ابن قتيبة الدينوري، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٨م.

الرسائل الجامعية

- الخطاب الحجاجي أنواعه وخصائصه، دراسة تطبيقية في (كتاب المساكين) لـ: " الرافعي "، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة تعلة- الجزائر، ٢٠٠٣م، هاجر مدقن.

المقالات

- صابر الحباشة يستعرض كتاب «الحجاج في القرآن الكريم« في ندوة بمركز كانو الثقافة، البحرين، نقلاً عن جريدة الوسط الاكترونية.